

ان أعود اليه لاحتفظ بوجودي ، فكان الحلم هو المكمل . وهذا ما يجعلني في حالة حلم دائم محدودا بمبررات الضرورة ، لا منطلقا بأجندة الوهم المترف . تصير الأرض صخرة وعصفورا في آن واحد . فالواقع على حالته الراهنة — حتى وان لم يكن قانونيا — لا يعود جزءا منك بدون رباط الحلم الذي يصير أكثر واقعية من شجرة ثابتة . والحلم على حالته العامة — وان لم يكن مترفا — لا يعود حافظا لك بدون ارتباط بصخرة مهما تغيرت أشكالها . صحيح ان الأشياء لا تكون مقدسة الى هذا الحد الا اذا كانت حالتها محكا لانتمائك الى الوجود ، الا اذا كانت موضع صراع . ولكن كونك محروما منها ليس هو الحيوية الوحيدة لثمنها العزيز الى هذا الحد . والا ، فكيف نفهم اقدام فقراء البلدان المستلبة على الموت في سبيل العودة الى فقر قديم ؟ ثمة شيء ننساه في زحمة التسابق على حفظ الجمل الثورية الجميلة . هذا الشيء هو الكرامة البشرية . ليس وطني دائما على حق . ولكنني لا أستطيع أن أمارس حقا حقيقتي الا في وطني .

— لماذا تتحاشاني . . هل تبتعد عن الايام القديمة ؟

● لأفسر لك اني لا أدافع عن سعادة قديمة ، ولا أتغنى بتعاسة ماضية . ليس للعمال وطن ؟ . ولكن للمحرومين من الوطن وطننا . ومن حسن حظنا — ربما — ان وطننا حق وجمال . انه لم يأخذ هذا الشكل اللاذع في جماله من اسقاطات حرماننا عليه . انه حلم في واقعه وواقع في حلمه . نحن لا نشتاق الى قفر . ولكننا نشتاق الى جنة . نشتاق الى ممارسة انسانيتنا في مكان لنا .

— قف عند هذه النقطة !

● لقد وقفت حياة آلاف الضحايا والشهداء عند هذه النقطة . لم يكونوا مخدوعين . بعضهم ما رآه ، فمات من عدوى الحب . ولكن الخارطة ليست على خطأ دائما ، وليس التاريخ على خطأ دائما . لماذا اجتمع الانبياء والفقراء والغزاة على حبه حتى درجة القتل ؟ . ان الرقصة الجنسية التي يمارسها البحر الابيض المتوسط مع خاصرة الكرمل تنتهي بولادة بحيرة طبريا . وهناك بحر ، سموه البحر الميت لانه ينبغي ان يموت شيء في هذه الجنة لكي لا تصبح الحياة مملة . ومن شدة ما ازدحم الجليل الاعلى بالغابات ، كان لا بد أن تبرهن القدس على أن الصخور قادرة على امتلاك حيوية اللغة . هذا هو وطني . ولم يكن والد صديقي المقيم في بيروت يبالي حين شم تفتح أزهار الليمون في بيارات يافا في موعدها . . ومات .

— هو الفردوس المفقود ؟

● احذر هذا المصطلح . لان القناعة به تسليم بحالة قانونية ووجودية بلغت حد النهاية . الفرق بين الفردوس المفقود بالمعنى المطلق وبين الفردوس المفقود بالمعنى الفلسطيني هو خلو حالة الحنين والانتماء النفسي والشرعي من منطقة الصراع . ما دام الصراع قائما فان الفردوس لا يكون مفقودا بل يكون محتلا وقابلا للاستعادة . لا اعني الارتكاز الى مفهوم خسارة المعركة وعدم خسارة الحرب الذي ينطوي على دفاع عن النفس امام خسارة المعركة . ولكنني اعني انه ليس بوسع الفلسطيني أن يعامل وطنه بهذا المفهوم كما يعامل العرب الاندلس وكما ينتظر المؤمنون الجائزة . ان بين فلسطين والاندلس فرقا يشبه الموت . وان بعض السياح الثوريين ممن ينظرون الى المسألة من زاوية التشابه حسن النية وسييء النتيجة ينطلقون من موقع الجمالية الشكلية وضبط التضامن . انهم سيبكون أكثر منك لو سلمت بهذا التشابه وحاصرت حقوقك ووجودك بسياج الحنين الملهم . ولكن حين يلجأ الحنين الى البندقية تعبيرا عن بعد المسافة بين